

عالم فرنسي سبق الباحثين من الإيجاز العلمي في القرآن!

كان موريس بوكاي من أكبر المدافعين عن الإسلام في الغرب، إلى حد أنه ألف كتابا تضمن نتائج دراساته المقارنة للأديان كشف فيه الأدلة التي جعلته يؤمن بالإسلام في النهاية. وكتاب موريس بوكاي (التوراة والإنجيل والعلم) معروف في الغرب بعد أن ترجم إلى عدة لغات، ومعروف أيضا في العالم الإسلامي بعد أن ترجمه إلى اللغة العربية على الجوهري وصدرت منه عدة طبعات، أما موريس بوكاي نفسه فهو أستاذ في الطب في جامعة باريس تفرغ لدراسة الكتب المقدسة والديانات السماوية الثلاث ولد في سنة ١٩٢٠ وحصل على جائزة من الأكاديمية الفرنسية وجائزة أخرى من الأكاديمية الوطنية للعلوم الطبيعية في فرنسا وذلك تقديرا لأبحاثه المبتكرة، وعرض نتائج للدراسات التي أجراها على القرآن والعلم الحديث في العديد من المؤتمرات العلمية ولقيت أبحاثه تقديرا كبيرا من العلماء وترجم كتابه إلى اللغات الفارسية، والتركية، والأردية، والمالوية، وغيرها من لغات الشرق والغرب.

وهو يستنكر موقف المفكرين الغربيين الذين يرفضون الاعتراف بأن القرآن من عند الله، بينما يؤمن المسلمون بكل الأنبياء السابقين على محمد - صلى الله عليه وسلم - وبكل الديانات السابقة على الإسلام، وذلك بأمر إلهي في القرآن: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْهِمْ رَسُولُهُ وَالَّذِينَ نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦)، وإذا كانت الديانة المسيحية تؤمن بأن اليهودية وكتابها المقدس (التوراة) من عند الله، فإن الديانة اليهودية لا تعترف بصحة أي وحي إلهي بعد التوراة، ومع ذلك فقد أخذت المسيحية التوراة المكتوب بالعبرية ككتاب مقدس لها إلى جانب الإنجيل، ويشير بوكاي إلى أنه كانت هناك أناجيل كثيرة استبعدت الكنيسة كثيرا منها واعتمدت عددا محدودا من الأناجيل أهمها الأناجيل الأربعة المعروفة، وهي إنجيل متى، وإنجيل مرقس،

وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، ولا تعترف المسيحية بوجود وحى إلهي بعدها، والإسلام يؤكد المكانة البارزة التي يحتلها جميع الأنبياء منذ إبراهيم - عليه السلام - إلى المسيح - عليه السلام - الذي يخصه بمنزلة خاصة؛ ففي القرآن سورة باسم (مريم)، ويشير القرآن إلى معجزة ولادته بغير أب، ويؤكد أن أمه السيدة مريم عذراء شاء الله أن يطهرها ويصطفئها على نساء العالمين، ويبدى مورييس بوكاي دهشته لأن اعتراف الإسلام بالديانات الأخرى غير معلوم على نطاق واسع في الغرب، وقد أسهم في الجهل بحقائق الإسلام أن الغربيين عندما يتحدثون عن الإسلام يسمونه (الديانة المحمدية) ويسمون المسلمين (المحمديين) لإعطاء الانطباع بأن هذا دين منسوب لشخص وليس وحيا من الله، وأن المسلمين هم اتباع رجل وليسوا مؤمنين بالله، ويشير أيضا إلى تقصير كثير من الباحثين الغربيين وعدم اهتمامهم بدراسة القرآن، واكتفائهم بدراسة التاريخ الإسلامي، والجوانب الفلسفية والسياسية والاجتماعية في الإسلام، ولكن السنوات الأخيرة شهدت نوعا من التحول في الدوائر المسيحية الرسمية بعد أن أصدر المؤتمر الثاني للفاتيكان في عام ١٩٧٠ وثيقة بعنوان (توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين) وجاء في هذه الوثيقة: (أن الفاتيكان ينظر بعين الاعتبار إلى الظلم الذي وقع على المسلمين، وهو ظلم يستحق عليه الغرب اللوم لما كانت عليه نظم التعليم المسيحي)، وتنتقد هذه الوثيقة التصورات الخاطئة التي تعتبر المسلمين كسالي متواكلين ومتعصبين، وجاء في هذه الوثيقة عبارات في غاية الأهمية مثل (علينا أن نهتم أولا بأن نغير تدريجيا من عقلية إخواننا المسيحيين، ويجب التخلي عن الصورة القديمة الملوثة بالأحكام الخاطئة عن الإسلام. ويجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبتها الغرب المسيحيون في حق المسلمين). وكان لهذه الوثيقة صداها في الغرب، وكانت تكملة لخطوة مهمة في مارس عام ١٩٦٩ حين زار الكاردينال كوننج cardinal konning جامعة الأزهر وألقى كلمة أعلن فيها أن الإسلام دين يؤمن بوحدانية الله.



لكن هذا التفهم للإسلام من جانب الفاتيكان لم يأخذ ما يستحقه من اهتمام المفكرين ورجال الدين والإعلام في الغرب.. ولم يهتم الإعلام في الغرب بالخطوة المهمة التي تمثلت في زيارة الكاردينال بنيدولي cardinal pignedoly للسعودية في أبريل ١٩٧٤ وهو رئيس سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين وحمل رسالة من البابا بولس السادس إلى الملك فيصل عبر فيها عن إيمان البابا باتحاد العالم الإسلامي والعالم المسيحي في عبادة إله واحد.

وهذا هو التعبير الذي يستخدمه البابا شنودة الثالث حين يتحدث إلى المسلمين في حفلات الإفطار في رمضان، وفي كلمته في افتتاح المؤتمر الإسلامي العالمي الذي تنظمه وزارة الأوقاف إن

يبدأ دائما بقوله: باسم الإله الواحد الذي نعبد جميعا، تعبيرا عن إيمان الكنيسة الأرثوذكسية بأن الله واحد وليس للمسلمين إله وللمسيحيين إله آخر، لكن هذا المعنى السامى لا يؤمن به البعض فى الغرب وآخرهم القائد العسكرى الأمريكى البارز الذى قال فى كلمته للقوات الأمريكية: إن إلهنا أفضل من إلههم (!) وكان ذلك تعبيرا عن ردة تعيد التفكير إلى ما كان عليه الأمر فى العصور الوسطى.

ويسجل موريس بوكاى الخطوات التى تمت بعد بيان الفاتيكان وزيارة الكاردينال بنيودولى للسعودية واعتراف البابا بولس السادس بالإسلام كدين قائم على عبادة الله الواحد الذى يعبده سائر المؤمنين، ومن هذه الخطوات استقبال البابا بولس السادس رسميا لوفد من كبار علماء الدين الإسلامى فى أكتوبر ١٩٧٤، ثم عقد ندوة شارك فيها رجال الدين الإسلامى والمسيحى كان موضوعها (حقوق الإنسان الثقافية فى الإسلام)، وبعدها استقبال المجمع المسكونى الأعلى للكنائس عددا من كبار رجال الدين الإسلامى تحت رعاية الأسقف إتشينجر Elchinger أسقف ستراسبورج، وتم اللقاء فى العاصمة السويسرية (جنيف).

يعتبر موريس بوكاى أن هذه الخطوات الأولى للتقارب كان لها أهمية كبرى لأنها نبهت بعض الغربيين إلى الخطأ فى التعليم الذى تلقوه منذ الصغر الذى غرس فيهم الروح العدائية للإسلام والمسلمين، وينبه أيضا إلى أن الأديان الثلاثة تواجه تهديدا خطيرا بسبب انتشار النزعات المادية والإلحادية، وبالتالي فإن المعركة يجب ألا تكون بين المؤمنين بالله مع اختلاف دياناتهم، ويجب أن تكون المعركة بين المؤمنين بالأديان الثلاثة والملاحدين، وهذا يفرض على أصحاب الأديان الثلاثة أن يتجمعوا معا فى جبهة واحدة. ويقول: إن الفكر السائد فى الغرب الآن أن الدين والعلم لا يلتقيان.

ويجعل موريس بوكاى موضوعه الأساسى الذى كرس له حياته: هل الإيمان بالدين يتعارض مع الإيمان بالعلم؟ لكنه وجد نفسه أمام سؤال آخر لابد أن يبحث عن إجابته لكى يؤسس بحثه عن العلم والدين على أساس سليم، وهو: ما مدى مصداقية النصوص الموجودة فى الكتب المقدسة الموجودة فى أيدينا الآن؟



يقول موريس بوكاى: إن الدراسة النقدية للكتب المقدسة فى الغرب دراسة جديدة لم تبدأ إلا منذ سنوات قليلة، قبل ذلك كان توجيه أى نقد لهذه النصوص يعتبر خطيئة من الخطايا الكبرى، وفى السنوات الأخيرة أصبح نقد النصوص الدينية علما يدرسه علماء متخصصون فيه يمارسون أبحاثهم بعقلية متحررة، وينطبق ذلك فى الدراسات الإسلامية على الأحاديث النبوية، فلم تدون الأحاديث

إلا بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بسنوات. وتخصص عدد غير قليل من علماء المسلمين في دراسة مدى صدق أو كذب كل حديث، وقد حددوا بالفعل عددا من الأحاديث المدسوسة، ورتبوا الأحاديث بحسب درجة اليقين في صدورها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث متواتر إلى حديث حسن، إلى حديث ضعيف.. وهكذا.. أما القرآن فكان يتم تسجيله وحفظه عن ظهر قلب أولا بأول، وكانت تلاوته مستمرة عند المسلمين في صلواتهم، وفي غير أوقات الصلاة، وخصوصا في شهر رمضان، حيث يرتل المسلمون القرآن كاملا في هذا الشهر، ولا يزال المسلمون يفعلون ذلك إلى اليوم في كل مكان في العالم، وقد رتب النبي - صلى الله عليه وسلم - الآيات والسور بنفسه كما أمره الله، وتم جمع السور القرآنية بعد وفاته وكانت مدونة قبل وفاته.

ويعرض موريس بوكاي نتائج دراساته التي قام بها لبحث ما إذا كان في القرآن إشارات إلى حقائق علمية تتعارض مع ما توصل إليه العلم الحديث، وقد وجد في القرآن آيات كثيرة تشير إلى ظواهر طبيعية أعد موريس بوكاي قائمة بها بعد دراسته للقرآن باللغة العربية، وبعد سنوات من دراسة مدى صدق كل إشارة علمية وردت في القرآن أعلن بوكاي (أن القرآن ليس في آياته إشارة واحدة يمكن نقضها في ضوء مناهج وقوانين العلم الحديث)، ويخصص بوكاي أكثر من نصف كتابه لنقد نصوص التوراة والإنجيل التي في أيدينا، ولكن ما يعيننا هو حديثه عن القرآن والإسلام.



ونكتشف من كتاب موريس بوكاي أنه من أوائل الباحثين عما في القرآن من إشارات إلى ظواهر وحقائق طبيعية أكدها العلم الحديث بعد مرور قرون من نزول القرآن. ويعلن أن الباحث يشعر بالدهشة عندما يكتشف أن القرآن ليس فيه كلمة واحدة تتعارض مع قوانين العلم الحديث، وأن هذه الحقيقة تلطم العلماء الماديين الذين كانوا يرون أن النصوص الدينية لا علاقة لها بالعلم وأنها أساطير وتعاليم أخلاقية. لكن هؤلاء لم ينتبهوا إلى ما في القرآن من آيات تكذب نظريتهم وتؤكد لهم أن هذا القرآن من عند الله ولا يمكن أن يكون غير ذلك، كما أن فهم حقيقة الإسلام يظهر كذب الذين قالوا إن (الله) الذي يعبد المسلمون غير (الله) الذي يعبد المسيحيون واليهود، وقد أشارت وثيقة الفاتيكان إلى ذلك وقالت بالنص: (.. ونرى باطلاً أن نقول مع بعض الغربيين أن (الله Allah) ليس الإله المقصود في المسيحية باسم (God) بالإنجليزية و(Dieu) بالفرنسية. ويدين موريس بوكاي الذين يكتبون كلمة الله بالإنجليزية أو الفرنسية كما هي بالعربية وبحروف لاتينية (Allah) للإيحاء بأنها تشير إلى إله آخر خاص بالمسلمين وهو غير الإله الذي يعبد المسيحيون واليهود. كما أنصفت وثيقة الفاتيكان الإسلام مما يتهمه به الغربيون من أنه قائم على الجبر، وأن الإنسان في عقيدة الإسلام لا يملك حرية التفكير وحرية الاختيار. وذكرت الوثيقة آيات في القرآن تفيد مسؤولية الإنسان عن أعماله، وحرية اختيار الإنسان لأفعاله، وهذا ما يجعل من المنطقي أن يحاسب الله الإنسان على أفعاله ومعتقداته.

وتبرز هذه الوثيقة الحرية الدينية في الإسلام وأنه لا يجبر أحدا بالقوة على اعتناق الإسلام، ويستشهد موريس بوكاي بآيات تؤكد عدم صحة الفكرة الشائعة في الغرب عن أن الإسلام انتشر بقوة السيف، مثل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة ٢٥٦) و﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج ٧٨). كذلك يشير بوكاي إلى ما جاء في وثيقة الفاتيكان من مواجهة للفكرة الشائعة في الغرب عن الإسلام على أنه دين قائم على الكراهية والتخويف وكراهية الآخر، فتشير الوثيقة إلى أن الإسلام دين الحب، والنصوص كثيرة في القرآن والحديث تدل على أن الإيمان لا يكتمل لإنسان ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه.



وتشير وثيقة الفاتيكان أيضاً إلى فكرة شائعة عن التعصب في الإسلام وتستشهد بآيات في القرآن تؤكد التسامح وتقول: (لم يكن المسلمون في حقيقة الأمر أكثر تعصبا من المسيحيين عندما كانت لهم السيطرة على مناطق كثيرة في العالم، وإن مفهوم الجهاد شبيه بمفهوم الحرب المقدسة في المسيحية، وتعني بذل الجهد لنشر الإسلام والدفاع عنه كما يفعل المسيحيون ببذل جهودهم لنشر المسيحية والدفاع عنها. وليس الجهاد في الإسلام مثل مفهوم (الخورييم Kherem) في الديانة اليهودية الذي يعني إبادة المخالفين للدين اليهودي.. أما أعمال العنف التي وقعت فقد كانت تخضع لقوانين الحرب، وفي الحرب الصليبية مثلاً لم يكن المسلمون هم الذين ارتكبوا المذابح. كذلك تناقش الوثيقة ما شاع في الفكر الغربي من أن الإسلام دين يتصف بالجمود، وأن ذلك ما جعل المسلمين متخلفين وغير قادرين على مسايرة التطور. وتقرن الوثيقة بين مظاهر التخلف الموجودة في بعض البلاد الإسلامية ومثيلاتها في بعض البلاد الغربية المسيحية، وتقرر في النهاية: (إننا نجد في الفكر الإسلامي مبادئ وإمكانات لتطور المجتمع المدني).

ويعلق موريس بوكاي على هذه الوثيقة التاريخية التي تعمدت أجهزة الإعلام ومراكز البحوث في الغرب التعتيم عليها وعدم الإشارة إليها، فيقول: إنني متأكد أن كل من يطلع على ما في هذه الوثيقة ستصيبه الدهشة، فهي إعلان ودفاع عما في الإسلام من عناصر إيجابية تدل على التفتح العقلي، ومن المؤسف حقاً أن الذين يعلمون بهذه الوثيقة الصادرة عن المؤتمر الثاني للفاتيكان عام ١٩٧٠ ليسوا سوى قلة قليلة جداً، ولو أن المسيحيين في الغرب كانوا على علم ووعي بما فيها من موقف منصف للإسلام ما حدثت هذه المصادمات والأحداث المؤسفة التي نراها ضد الإسلام والمسلمين، ولو علم الغربيون كيف استُقبل وفد علماء المسلمين باحترام في قاعة الاحتفالات الكبرى بكتدرائية ستراسبورج، وكيف دعا الأسقف إيشينجر Elchinger أعضاء الوفد لأداء الصلاة في بهو الكاتدرائية نفسها، وأنهم قاموا بأداء الصلاة أمام المذبح متجهين نحو القبلة لأدركوا أن تلك كانت خطوة مهمة للتفاهم والتقارب بين أصحاب الديانات السماوية، كما أنها كانت إشارة إلى التركيز

على ما بين الديانات السماوية من نقاط التقاء وأهمها الإيمان بالله، وترك نفاط الخلاف التى تثير النفوس، وهى على أى الأحوال لا تتعلق بأسس العقيدة فى كل الأديان وهى الإيمان بالله، وبالحيوة الآخرة بعد الموت، والحساب أمام الله. مع ملاحظة عدم الخلاف بين الأديان فى كل ما يمس القيم الأخلاقية وحماية العلاقات الاجتماعية.



ويبحث موريس بوكاى عن موقف الأديان من العلم فيقول: إن سلطات الكنيسة ظلت لعدة قرون تعارض تطور العلوم الطبيعية، مما دفع بعض العلماء إلى الهرب من أحكام الكنيسة بالحرق أو الإعدام أو التخلّى عن الحقائق العلمية التى اكتشفوها بالملاحظة العلمية والتجربة والاستقراء، كما اضطر بعض العلماء إلى التراجع وإنكار ما توصلوا به وطلب الصفح والمغفرة من الكنيسة، ويضرب مثلاً على ذلك ما حدث للعالم جاليليو الذى استكمل اكتشافات كوبرنيكوس الخاصة بدوران الأرض حول الشمس، وحاكمته الكنيسة بتهمة الكفر لأن النصوص فيها إشارات إلى أن الشمس هى التى تدور حول الأرض. وتم إعدام جاليليو ودفع حياته ثمناً لإعلانه الحقيقة العلمية. أما فى الإسلام فكان الموقف مختلفاً، فقد جاءت فى القرآن آيات كثيرة تشجع على النظر فى الكون وظواهر طبيعته وفى تكوين الإنسان ومراحل نشأته، وجاء فى الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة). وإن كان المسلمون قد مروا فى مراحل ساد فيها الجهل وإنكار العلم، إلا أن ذلك لا يجعلنا نغفل النهضة العلمية العظيمة للحضارة الإسلامية فيما بين القرن الثامن الميلادى والقرن الثانى عشر، فى الوقت الذى كان فيه الغرب أسيراً للقيود على التطور العلمى. ولقد حققت مراكز العلوم فى العالم الإسلامى إنجازات واكتشافات علمية أثرت فى نهضة أوروبا، وكان الباحثون والعلماء فى العالم الإسلامى يجدون من الرعاية والدعم من الدولة والمجتمع ما جعلهم يتفوقون فى جميع المجالات.

ويشير موريس بوكاى إلى فترة ازدهار الحضارة والنهضة العلمية فى الأندلس، حيث كانت قرطبة مركزاً لدراسة علوم اليونان والهند وبلاد فارس، وكانت مكتبة الخليفة تحوى أربعمئة ألف مجلد، وكانت الجامعات الإسلامية تدرس العلوم الطبيعية والكيمياء والطب والتشريح والجراحة والفلك والرياضيات والجيولوجيا وعلم النبات ولهذا كان كثير من العلماء والطلاب يسافرون من أنحاء أوروبا للدراسة فى قرطبة مثلما يحدث فى عصرنا هذا عندما يسافر طلاب العلم إلى الولايات المتحدة لاستكمال دراساتهم. ويدعو موريس بوكاى الغربيين جميعاً إلى معرفة فضل المسلمين على الحضارة الغربية والاعتراف بهذا الفضل، ولم يكن الدين عائقاً أمام حرية البحث العلمى على الإطلاق، بل كان مشجعاً للعلماء لثقة المسلمين من أن اكتشافهم للمزيد من الحقائق العلمية يثبت إيمانهم بقدرة الله فى الكون ويزيدهم إيماناً، وهذا ما يفسر وجود علماء فى الطبيعة والكيمياء

وغيرهما كانوا علماء في الدين أيضاً وجمعوا بين علوم الدين والدنيا. ولم يحدث الانفصال بين العلم والدين في العالم الإسلامي كما حدث في أوروبا.

ويفسر موريس بوكاي أسباب هذا الانفصال بين العلم والدين في أوروبا بأن البلاد المسيحية عاشت في القرون الوسطى في ركود علمي وتزمت، فتوقف البحث العلمي تحت ضغط أولئك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم خدام التوراة والإنجيل. وعندما بدأ عصر النهضة كان من الطبيعي أن يكون رد الفعل لذلك أن يأخذ العلماء بثأرهم من رجال الدين، فثاروا عليهم، وكرسوا الانفصال بين الدين والعلم، ولا يزال ذلك الانفصال مستمرا حتى اليوم إلى درجة أنه لو حدث وتحدث أحد العلماء عن الإيمان بالله يعتبره بقية العلماء شاذا يرغب في الشهرة عن طريق الاختلاف عن سائر العلماء. وهذا الموقف يعمق التنافر بين العلم والدين إلى حد أن أحد العلماء الحاصلين على جائزة نوبل قام بتأليف كتاب يؤكد فيه أن المادة الحية تخلق نفسها بنفسها، ومن المادة الحية الأولية تكونت بقية الكائنات وانتهت بظهور الإنسان في ظروف البيئة الخارجية الملائمة لذلك التطور الحيوي.

يقارن موريس بوكاي بين هذا الموقف لعلماء الغرب وموقف العلماء المسلمين في الماضي والحاضر الذين تعلموا من الإسلام أنه كلما ازدادت معرفتهم العلمية ازدادت ثقتهم من قدرة الله الخلاق التي يرجعون إليها كل ما في الكون والإنسان من ظواهر وازداد إيمانهم بقدرة الخالق. فالعلماء المسلمون ينطلقون في أبحاثهم من نقطة واحدة هي الإيمان بالله خالق ومدبر كل شيء، فإله وراء كل ما يصل إليه علمهم من اكتشافات. ويوجه بوكاي النقد إلى علماء الغرب الذين يسخرون من هذه العقيدة وينكرون تأثير القوى الروحية والإلهية في الكون. فيقول: إن عجز المسيحية واليهودية عن الصمود والتغلب على هذه الموجة الإلحادية في الغرب أدى إلى ظهور فكر يدعى أن الدين ليس إلا نظاما تبناه البشر منذ ما يزيد على ألفي عام لإنشاء سلطة دينية تعطي امتيازات لرجال الدين على سائر الناس. ويبدى موريس بوكاي أسفه لأن الغربيين لا يعلمون ما في الإسلام من قوة دافعة للتقدم الإنساني، وذلك بتأثير ما يسميه (عملية التشهير المنظم المنهجي) ضد الإسلام منذ القرون الوسطى.

ولذلك فإن كل عربي تتاح له فرصة الاطلاع على حقيقة الإسلام يصاب بالدهشة عندما يدرك إلى أي حد تم تشويه هذا الدين، وكيف ظلت المراجع العلمية إلى اليوم مليئة بالأخطاء المتوارثة عن الإسلام من العصور الوسطى، وما زالت موجودة حتى في دوائر المعارف المشهورة في الغرب مما يجعل مهمة الباحث الذي يعتمد عليها مهمة عسيرة إذا أراد الوصول إلى المعلومات الصحيحة عن كل ما يتعلق بالإسلام. وإلى جانب ذلك فإن الآيات التي تشير إلى حقائق علمية ترجمت في الغرب ترجمات سيئة جعل العلماء يوجهون إليها النقد، وقد يكون الخطأ في الترجمة لصعوبة نقل المعنى بدقة كما في الآيات باللغة العربية، أو لأن اللفظ القرآني متعدد المعاني ولا يحيط المترجم بهذه

المعاني كلها لمعرفة المعنى المقصود، وهناك معانٍ لألفاظ في القرآن لم ينكشف معناها الصحيح إلا في العصر الحديث بعد أن تقدمت المعارف العلمية وفي ذلك عذر للمفسرين القدماء الذين لم يكن في مقدورهم إدراك هذه المعاني.



ويقول موريس بوكاي: إنه أصيب بدهشة بالغة عندما تفرغ لدراسة القرآن باللغة العربية فاكتشف إشارات وحقائق علمية لم يكن يتوقع أن يجدها في كتاب ديني أنزل منذ أربعة عشر قرناً. ويقول: إنه لم يكن لديه في البداية استعداد للإيمان بالإسلام. وإنه كان يدرس نصوص القرآن بعقلية علمية متحررة من العاطفة ومن الأحكام المسبقة، ولم يكن فكره يخلو من تأثير التعاليم المعادية للإسلام التي تلقاها في طفولته وشبابه وأهمها: أن الإسلام دين افتراه رجل عربي اسمه محمد - صلى الله عليه وسلم - ولكن بعد أن تعلم اللغة العربية وأجادها، وعكف على دراسة القرآن آية آية، وجملة جملة، واستعان بكتب التفسير المعتمدة، كانت تذهله الدقة التي يصف بها القرآن الظواهر الطبيعية، ولا يمكن إدراك المعجزة فيها إلا بالرجوع إلى النص الأصلي باللغة العربية. ومن هذه الظواهر التي يتحدث عنها القرآن كيفية خلق الله للعالم، والإشارات المتصلة بعلم الفلك وعلم الأرض وعلم الحيوان وعلم النبات بالإضافة إلى المسائل المتصلة بالتكاثر والتناسل. ويقول: إن ذلك جعلني أتساءل: كيف يقال إن هذا القرآن من تأليف بشر وفيه هذه الحقائق العلمية التي لم يتم اكتشافها إلا في العصر الحديث بعد قرون عديدة من نزول القرآن؟

يتحدث موريس بوكاي كيف تحولت مشاعره إلى الإسلام بعد اكتشافه ما في القرآن من إشارات علمية لا سبيل إلى تكذيبها بعد الاكتشافات العلمية الحديثة، فيقول: لم يعد أمامي مجال للشك في أن القرآن أوحاه الله إلى نبي الإسلام، وأن القرآن الموجود في أيدي الناس اليوم هو ذات النص الذي أنزله الله. وأدركت أيضاً لماذا أساء الغربيون للقرآن في العصر الوسيط وأخطئوا في تفسير الآيات، لأنهم في ذلك الوقت لم يكن باستطاعتهم الوقوف على محتواها العلمي الذي لم تتوصل إليه البشرية إلا بعد قرون.



وينبئ موريس بوكاي إلى أن وجود إشارات علمية في القرآن لا تعني أنه كتاب أنزل لتعليم البشرية القوانين العلمية، فهو كتاب ديني بالدرجة الأولى يدعو إلى الإيمان بالله، وأن الحقائق العلمية فيه هي ومضات أو إشارات للقدرة الإلهية لتثبيت الإيمان بقدرة الله خالق كل شيء. وينبئ موريس بوكاي إلى مسألة مهمة لمن يبحث عن الحقائق العلمية في القرآن، وهي أن حقائق العلم تتغير كلما تقدمت المعرفة، ولذلك يجب أن نفرق بين القانون العلمي أو الحقيقة العلمية التي ثبتت

صحتها بالأدلة العلمية، وبين النظرية العلمية أو الفرض العلمي الذي ما يزال في مرحلة البحث والملاحظة والدراسة ولم يصل إلى درجة الحقيقة العلمية أو القانون العلمي، فالقرآن فيه إشارات إلى حقائق علمية تأكدت صحتها، وأصبحت من المسائل العلمية الثابتة المؤكدة، مثل حقيقة أن الأرض تدور حول الشمس وأن القمر يدور حول الأرض، ومثل حقيقة أن الماء هو أصل كل شيء حي، ومثل مراحل تطور الجنين البشري.. إلخ.



ويؤكد موريس بوكاي على ما جاء في القرآن من إشادة بالقلم في سورة العلق ﴿أَفَرَأَوْذَكَ الْأَكْرَمُ ۝٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝١﴾ (العلق ٣-٤) باعتباره وسيلة الإنسان لتدوين معارفه وحفظها للأجيال على مر الزمان، وهذا ما جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يحرص على إملاء الآيات على كتبة الوحي مما حفظ القرآن كما أنزل.

ويرى موريس بوكاي أن حديث القرآن عن كيفية خلق السموات والأرض كما جاءت في آيات متفرقة هي الأصدق في هذا الموضوع، لأن التوراة - مثلا - تقول إن عملية الخلق تمت في ستة أيام تبعتها يوم استراح فيه الله هو يوم السبت. واليوم الذي تتحدث عنه التوراة هو أربع وعشرون ساعة، لكن القرآن يشير إلى معنى آخر، ففي الآية ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف ٥٤) وفي آية أخرى يعلمنا الله أن هذه الأيام ليست بالمعنى الشائع ولكن مفهومها عند الله مختلف، فهي تعنى مراحل زمنية Periods أو عصور ages وليست أياما days والدليل على ذلك ما جاء في الآية: ﴿يَدِيرُ الْأُمُورَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة ٥) ويشير القرآن إلى حدوث مرحلة بعد مرحلة في خلق الكون في الآيات: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَلِ السَّمَاءِ بَنَاهَا ۝٧ رَفَعَ سَمْعَهَا فَسَوَّاهَا ۝٨ وَأَعْطَشَ لَهَا مَاءً وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝٩ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۝١٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً هَامًا وَمَرَعَهَا ۝١١ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝١٢ مَتَاعًا لَكُمْ ۝١٣﴾ (النازعات ٢٧-٣٣).

ويشير القرآن إلى ظاهرتين توصل إليهما العلماء مؤخرا أولهما: أن الأرض نشأت عن انفصالها عن الشمس وبردت، وثانيهما: أن الماء هو أصل الخلق لكل شيء: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ (الأنبياء ٣٠) كما يشير إلى حقيقة توصل إليها العلماء في العصر الحديث وهي أن الكون مر بعصر كان فيه عبارة عن كتلة غازية ذات جزئيات تشكل منها العالم: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت ١١).

ويستخلص موريس بوكاي من القرآن الحقائق الآتية عن خلق الكون:

- ١ - وجود ست مراحل للخلق بوجه عام.
 - ٢ - تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض.
 - ٣ - خلق الكون من كتلة أولية متماسكة العناصر انفصلت عنها أجزاء الكون.
 - ٤ - تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض.
 - ٥ - وجود مادة مخلوقة وسيطة بين السماوات والأرض.
- وعظمة الله تتجلى في الكون ولذلك يطالبنا بالنظر في المعجزات الكثيرة فيه. فليس من السهل على العقل البشري أن يستوعب حقيقة أن الأرض تبعد عن الشمس مسافة مائة وخمسين مليون كيلو متر تقريبا. ومع ذلك فهي مسافة صغيرة إذا قورنت بالمسافة التي تصل بين الشمس وبين مدار كوكب بلوتو وهي تقدر بما يساوي المسافة بين الأرض والشمس أربعين مرة تقريبا أي ستة آلاف مليون كيلو متر تقريبا، وبناء على تقديرات العلماء فإن قطر مدار كوكب بلوتو يبلغ حوالي ١٢ ألف مليون كيلو متر، ومع أن سرعة الضوء تقدر بحوالي ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية الواحدة، فإن شعاع الضوء يستغرق ست ساعات تقريبا ليصل من الشمس إلى كوكب بلوتو. وفي الكون نجوم يصل الضوء منها إلى الأرض في مليارات من السنوات.. وسبحان الله.



يتحدث موريس بوكاي بالتفصيل عن النظام الشمسي والمجرات والنجوم والكواكب وعن وجود عوالم متعددة، وأن العالم الذي نعيش فيه ليس سوى واحد من هذه العوالم. وما يقوله علماء الفلك عن وجود خمسين مليار نجم في مجرتنا الشمسية ولكل نجم كواكب تابعة له تدور في فلكه. ويقول أيضا: إن في القرآن حوالي أربعين آية تمدنا بمعلومات توضيحية في علم الفلك جاءت في سياق الإشادة بعظمة الله الخالق وبديع صنعه وما في الكون من نظام دقيق محكم، وقد اكتشف نيوتن بعض مظاهر هذه الدقة في قوانين الجاذبية بين الأجرام وغيرها من القوانين العلمية. ويكفي ما في التعبير القرآني من دقة في التمييز بين ضوء الشمس وضوء القمر: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس ٥) ولم يكتشف العلماء إلا بعد قرون من نزول القرآن أن الشمس هي مصدر الضوء وأن نور القمر هو انعكاس لضوء الشمس.

وسوف تدهش عندما تجد موريس بوكاي يتحدث عن إعجاز القرآن في حديثه عن النجوم، والكواكب، والسماوات الدنيا، والنظام الشمسي، وظاهرة التمدد في الكون وهي أعظم اكتشاف علمي في العصر الحديث لم يصل إليه العلماء إلا بعد التوصل إلى نظرية النسبية. ويشير إليها القرآن: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِمُ الْوَيْلُ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات ٤٧) وكذلك الإشارة إلى ما يتمكن به البشر من النفاذ إلى الطبقات العليا بسُلطان العلم: ﴿يَكْمُرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفَذُوا الْأَنْفَذُونَ إِلَّا لِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ (الرحمن ٣٣) ويقول بوكاي: إن أداة الشرط (إن) تفيد أن الحدوث جائز في المستقبل، بينما أداة الشرط (لو) تفيد استحالة أو عدم احتمال الحدوث، فالقرآن إذن يشير إلى إمكانية تحقيق إنجاز علمي بغزو الفضاء والنفاز أيضا إلى طبقات بعيدة في أعماق الأرض. ولم يكن في وسع أحد أن يدرك ذلك وقت نزول القرآن.

ولن ندهش بعد ذلك عندما نجد أن معظم العلماء العرب والمسلمين الذين يبهرون الأسماع بالحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن إنما يكررون الحقائق التي توصل إليها العالم الفرنسي موريس بوكاي بدراسته للقرآن.



ويجئ موريس بوكاي الآيات التي تتحدث عن الأرض وكيفية خلقها لمعيشة الإنسان عليها بما فيها من أنهار وبحار وجبال وماء ونبات ورياح وحيوانات وتعاقب الليل والنهار، وعدم اختلاط مياه الأنهار وبمياه البحار عند مصبات الأنهار. كما يتحدث عن دورة الماء في الكون وفي الإنسان ويقول: إن الحقائق العلمية المتعلقة بها معروفة لنا الآن، لكنها لم تكن معروفة منذ أربعة عشر قرنا حين نزل القرآن، بل إن المفاهيم الخاطئة هي التي كانت سائدة في تلك العصور واستمرت سائدة حتى مطلع عصر النهضة، ولذلك لا نستطيع أن نخفي دهشتنا حين نجد آيات القرآن تتحدث في مواضع كثيرة عن الماء، ولم تقع في أي خطأ من الأخطاء العلمية التي كانت هي المعلومات الشائعة في ذلك العصر، وبذلك ندرك إعجاز القرآن، ونؤمن بأنه ليس من تأليف بشر، ولم يرد شيئا مما كان شائعا في ذلك العصر في بلاد العرب أو الفرس أو الرومان أو غيرها، فإذا نظرنا إلى تفسير القرآن نجده تفسيراً دقيقاً مثل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَبَنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ ﴿١٨﴾ (المؤمنون ١٨) ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُسْقِنُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ اللَّهُ الشُّورُ ﴿٩﴾ (فاطر ٩) ﴿وَاللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَسْطُرُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ (الروم ٤٨) ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيٍّ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ (الرعد ١٧) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ (الزمر ٢١).

ويشير موريس بوكاي إلى ما جاء في دائرة معارف يونيفرسال للبروفيسور رمنبيراس الأستاذ بالكلية الوطنية للهندسة الزراعية والمياه في باريس من أن الأفكار الخاصة بدورة المياه في الكون

كانت كلها نظريات وأفكار خاطئة ولم يتخل العلماء عنها إلا في عصر النهضة بين عامي ١٤٠٠م) (م) و١٦٠٠م) ويعلق بوكاي على ذلك بأن الدقة التي تحدث بها القرآن لم يستطع أحد من العلماء أن يعارض شيئاً منها، ويبدو الإعجاز في الآية: ﴿الْقُرْآنَ اللَّهُ يُرْسِي سَعَابًا ثُمَّ يُولِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (النور ٤٣) وعندما تقارن معلومات علم الهيدروليكا الحديثة عن الماء بما جاء في القرآن سنجد التوافق تاماً مع آخر نتائج الدراسات العلمية. وكذلك ما جاء في القرآن عن البحار خاصة في صفات البحار والأنهار والتقائهما: ﴿هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (الفرقان ٥٣) و﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاقِرَ لَيَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (فاطر ١٢) وصدق الله العظيم، فعلى مدى قرون لم يحدث أن اختلط الماء العذب بالماء الملح عند مصب أي نهر من الأنهار في أنحاء العالم.



يعرض موريس بوكاي بالتفصيل نتائج دراساته عن صدق القرآن في كل ما ذكره عن تركيب الأرض، وتوزيع البحار واليابس على سطح الكرة الأرضية، وتركيب الجبال التي قال عنها القرآن: ﴿الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ مَهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْدَادًا ۗ﴾ (النبا ٦-٧) وعرف علماء الجيولوجيا في العصر الحديث أن الجبال في شكل وتد يتعمق في الأرض وينتج عن ذلك تثبيت القشرة الأرضية. والإعجاز في القرآن أيضاً في حديثه عن تخلخل الهواء في طبقات الجو العليا حيث يقل الضغط الجوي ويصاب الإنسان بضيق التنفس إذا ارتفع عن سطح الأرض ارتفاعاً كبيراً وهذه المعلومة لم يكتشفها العلماء إلا في العصر الحديث، بينما أشار إليها القرآن في الآية ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُمْسِكْهُ وَمَنْ يُرِدْهُ لِيُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام ١٢٥) أي إن الإنسان يشعر بانطباق صدره وقد يموت نتيجة لذلك كلما ارتفع في الجو. وليس ذلك فقط بل أشار القرآن إلى وجود الكهرباء الجوية ونتائجها مثل البرق، والبرد: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۗ وَيَسْخِرُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ۗ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ ۗ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ۗ﴾ (الرعد ١٢-١٣).

كما يشير القرآن إلى العلاقة بين الظل والشمس: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۗ﴾ (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا سَيْرًا ۗ﴾ (الفرقان ٤٥-٤٦)..

هذا بالإضافة إلى ما في القرآن من آيات عن عالم النبات وعالم الحيوان والتكاثر في النبات:

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج ٥).

ومن المعروف علميا الآن أن الثمرة هي نتاج عملية تناسل النباتات العليا، والمرحلة التي تسبق الثمرة هي مرحلة الزهرة بأعضائها الذكرية (الإبر) وأعضائها الأنثوية (البويضات) وبعد نقل حبوب اللقاح من الأعضاء الذكرية إلى الأعضاء الأنثوية تعطى الزهور الثمار. فكل ثمرة تتضمن بالضرورة وجود أعضاء ذكورة وأعضاء أنوثة. وحتى الأنواع التي تنتج زهورا غير ملقحة يسميها علماء النبات (الثمار عذرية التوالد) مثل ثمار الموز وبعض أنواع الأناناس والتين والبرتقال والعنب، فإن هذه النباتات في الحقيقة - وكما اكتشف علماء النبات - لها نشاط جنسي ولكنه مختلف عن النباتات الأخرى. وبالطبع لم يكن أحد في عصر نزول القرآن يعلم شيئا من هذه الحقائق العلمية.



كذلك يبدي موريس بوكاي انبهاره بما في القرآن من مسائل كثيرة تتعلق بعلم الحيوان مثل: التناسل في عالم الحيوان، ووجود الجماعات الحيوانية، ودقائق عن حياة النحل والعناكب والطيور. وقد أثبت العلم الحديث أن الجماعات الحيوانية تتصف بمستوى من التنظيم الفطري في نطاق جماعة من الحيوانات أو الطيور، وقد ذكر العالم الفرنسي (بلانشير) أنه يمكن تمييز بعض مظاهر السلوك لدى هذه الجماعات من الحيوانات والطيور تبدو كما لو كانت تسببها لله، وقد حظيت مجموعات النحل بأكبر قدر من الدراسات العلمية. وفاز كل من (فون فريش) و(لورنز) و(تينبرجن) بجائزة نوبل في العلوم على دراساتهم في السلوك الجماعي للحيوانات والطيور والحشرات والعنكبوت، وبذلك توصل العلماء إلى معنى ما جاء في الآية: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ (الأنعام ٣٨). كذلك فإن الإعجاز القرآني يبهر العلماء في حديثه عن التناسل الإنساني من معلومات دقيقة ابتداء من طبيعة السائل المنوي إلى تخصيب البويضة، إلى تطور الجنين في الرحم في مراحل تتفق مع ما يقرره العلم الحديث، ولم يستطع أحد من العلماء العظام أن يقدم دليلا على عدم دقة هذه الحقائق العلمية. ويكفي الإشارة إلى الآية: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا الطُّفْلَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ (المؤمنون ١٤) وكذلك ترتيب ظهور الحواس والأحشاء: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (السجدة ٩) وأن الله يخلق الذكورة والأنوثة في الأجنة: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ (النجم ٤٥ - ٤٦).

ويشير موريس بوكاي أيضا إلى أن القرآن لم يترك شيئا في حياة الناس دون أن يحدد إطاره السليم بما في ذلك العلاقات الجنسية ويذكر الآيات الكثيرة التي تتضمن معلومات جنسية باستخدام ألفاظ تجمع بين الدقة والاحتشام.

كما يشير بإعجاب شديد إلى حرص المسلمين منذ بداية نزول الوحي على تدوين الآيات أولا بأول ومراجعتها دوريا وخاصة في شهر رمضان، وكذلك يبدي إعجابه بحرص العلماء المسلمين على توثيق الأحاديث وتتبع سلسلة الرواة، حتى إنهم أنشئوا لذلك علما من أشد العلوم دقة يعتمد على منهج صارم في دراسة كل واحد من سلسلة الرواة لكل حديث حتى يصلوا إلى المصدر الأول له ويدققوا في التأكد من صدور الحديث عنه ومدى صدق كل راو وسلامته العقلية ومعاصرته لمن سمع منه، ثم رتبوا الأحاديث إلى درجات فبعضها صحيح، وبعضها متواتر، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف، وبعضها منحول سواء عن حسن نية للترغيب في عمل الخير أم للترويج لذهاب وفرق واتجاهات سياسية. ويقول موريس بوكاي: إن (علم الحديث) يستحق الإشادة لأن علماء الحديث اتبعوا المنهج العلمي الدقيق في نقد الأحاديث والنك فيها وإثبات ما أثبتوه وتكذيب ما كذبوه بناء على أدلة وأساليب دون تحرج، لأن الأحاديث منسوبة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وليست وحيا مباشرا وليس لها منزلة القرآن. وهذه النزاهة العلمية لا نجدها في نقد النصوص في الديانات الأخرى.

ولقد أخذ الباحثون عن الإعجاز العلمي في القرآن معظم نظرياتهم من هذا العالم الفرنسي العظيم.



وما يصل إليه موريس بوكاي بعد ذلك يتفق مع ما ذكره الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق في كتابه (اجتهاد الرسول) الذي فرّق فيه بين أقوال الرسول التي تتعلق بأمور الدين والدنيا معبراً فيها عن مراد الله، وأقوال صدرت عنه كأنسان مثل اقتراح عدم تدكير النخل فلما تبين أن ذلك غير مفيد قال (أنتم أدرى بشئون دنياكم) ومثل حالات كان فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - مجتهدا في استنباط الأحكام وكان بالطبع إمام المجتهدين في هذه الحالات. وقد أوضح الشيخ جاد الحق بأدلة كثيرة الفرق بين النبي والإنسان، وبين المجتهد وناقل الوحي في شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

ودراسات موريس بوكاي عن الإعجاز العلمي في القرآن نرى أصداءها في الدراسات التي قدمها لنا بعد ذلك د. مصطفى محمود، ود. عبد الرزاق نوفل، ود. منصور حسب النبي، ود. محمد شوقي الفنجري، ود. عبد العليم عبد الرحمن خضر، ود. زغلول النجار، وغيرهم، وغيرهم، مما يرجح أنهم تأثروا به وأخذوا عنه.



ويكرر موريس بوكاي ذكر نتائج أبحاثه عن مدى صحة المعلومات العلمية والتاريخية في الكتب المقدسة، ويتوقف طويلاً عند طريقة تدوين القرآن، والقدسية التي يشعر بها المسلمون لكل آية وكل كلمة وكل حرف في القرآن، ولم ينزل القرآن دفعة واحدة، ولكنه نزل على مدى ثلاثة وعشرين عاماً وهي مدة كافية جداً لحفظ كل آياته، وظل حفظ القرآن من الأمور التي تلفت النظر في العالم الإسلامي، حيث يحفظ كثيرون القرآن كاملاً عن ظهر قلب. وقد تم تدوين القرآن في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وتحت إشرافه وبمراجعتة، وكان - صلى الله عليه وسلم - يطلب من الكاتب أن يتلو عليه ما كتبه ويطلب من غيره أن يتلو ما كتب للتأكد من صحة الكتابة، وهكذا تجمعت أسباب عديدة لضمان صحة نصوص القرآن: الحفظ في ذاكرة المؤمنين العدول، وتدوين الآيات أولاً بأول بأقلام الكُتّاب العدول، وهذا ما جعل جمع القرآن بالكامل عملاً سهلاً في عهد أبي بكر ثم نسخه في عهد عثمان. وهذا ما أخرج ألسنة كل من حاول التشكيك في صحة القرآن وهو الكتاب الوحيد الذي لا يثير أية مشاكل تتعلق بصحة نصوصه. ومن غير المعقول أن يتصور إنسان أن حقائق العلم التي ذكرها القرآن وكانت مجهولة وقت نزوله ولم تكتشف إلا في العصر الحديث يمكن أن تكون من تأليف بشر. وليس أمام الإنسان إلا التسليم بأن هذا الكتاب وحى من الله أنزله على النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي اختاره وكان منذ بداية حياته صادقاً حتى أطلق عليه أهل مكة لقب (الصادق الأمين) وظل كذلك في جميع مراحل حياته، وكفى أنه لم يطلب لنفسه ثروة أو ملكاً أو يضع تاجاً على رأسه ويجلس على عرش.. وكان في استطاعته أن يفعل ذلك.



ويبدو أن هناك صلة فكرية بين موريس بوكاي وروجيه جارودي، وأن هناك تكاملاً في رؤيتهما للإسلام، بوكاي درس الإسلام من زاوية العلم الحديث، وجارودي درسه من زاوية الفكر والحضارة والقيم الروحية والإنسانية. فقد ألقى جارودي محاضرة في جامعة الإسكندرية أثناء زيارته لمصر عام ١٩٨٣ في مناسبة العيد الألفي للأزهر، وكان موضوع الندوة (حوار الحضارات) وقال فيها: إن أهم ما يميز الإسلام في نظره أن كل ظاهرة لا تؤخذ منفصلة عن غيرها من الظواهر، وأن العلاقة واضحة في الإسلام بين ظواهر الطبيعة وعلاقة الإنسان بربه، ففي الإسلام ترتبط حركة كل شيء في الكون بإرادة الله، وبالتالي لا ينبغي أن تدرس ظاهرة وحدها وكأنها منقطعة الصلة بغيرها، وإنما يجب أن تدرس من خلال علاقتها بالظواهر الأخرى، وعلاقة جميع الظواهر بالله، وهذه النظرة الكلية الشمولية هي ما تمتاز به العلوم الإسلامية في جوهرها.

أما عن الحوار بين الغرب والإسلام فكان رأي جارودي أن ذلك من الصعوبة بمكان لأنه سيكون حواراً بين جماعات تتفاوت في موازين القوى وبالتالي فهو حوار قائم منذ البداية على أساس خاطئ. فقد كان الاستعمار الغربي السبب الرئيسي لوقف نمو الحضارات والثقافات في البلاد

الإسلامية، وعمل الاستعمار على إنكار الحضارة الإسلامية بل وتدميرها وهي في أوج ازدهارها. وقال جارودي: لقد بهرتني قدرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على إنشاء مجتمع إسلامي مثالي لا ينقل أسسه من المجتمعات الأخرى ولا على صلة الدم التي كانت تربط وتفرق بين القبائل، ولا على ملكية الأرض مثل الإمبراطوريات، ولا على مجتمع الأسواق كما أنشئت المدن الأغريقية، ولا على أصحاب ثقافة واحدة، ولذلك انتشر الإسلام في دول كثيرة، وقبائل متعددة، وثقافات متباينة، فجمع بين هؤلاء المختلفين في كل شيء على وحدة العقيدة. فالمجتمع الذي أقامه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنى على الإيمان وهذا ما يجعله مجتمعاً عالمياً مفتوحاً لمن يريد أن يؤمن بعقيدته. وإن في هذا الدين إبداعاً عجباً، لا شبهة فيه لولاية إلهية، أو لطغيان رجل دين. فهو دين يمد يده لجميع البشر والباب مفتوح أمام البشر، للاتصال بالله دون وسيط، وقد عقد الرسول - صلى الله عليه وسلم - اتفاقاً أشبه ما يكون بالاتحاد الفيدرالي مع اليهود في المدينة، واليهود هم الذين نقضوا الاتفاق وانتقلوا عليه. وفي عهد الخلفاء الأوائل عاش اليهود والمسيحيون في الدولة الإسلامية على قدم المساواة مع المسلمين دون تفرقة، وتولوا مناصب سياسية وعلمية واجتماعية رفيعة.

ويُبدى جارودي أسفه لأن الغرب انساق وراء نزعته للسيطرة والاستغلال والاستعمار، فلم يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، ولم يتخلص حتى الآن من حملات العداوة التي شوهت هذا الدين الذي يقدم للبشرية نموذجاً فريداً من العلاقة السليمة بين الإنسان والله والطبيعة، بحيث تتكامل العلاقة وتتوحد في الخالق الذي يسبح كل شيء بحمده.

ولا يزال في فكر جارودي ما يستحق العودة إليه.